

السموئل المغربي وتُهمة التحريف

كان السموئل المغربي واضحاً وقاطعاً في اتهامه لليهود بتحريف التوراة وبأنها ليست النص الحقيقي ، فهو من البداية يؤكد " أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأخبارهم أنها المنزلة على موسى " (٦٤).

ويشرح السموئل قوله هذا على النحو التالي :
أولاً : أن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يشهرها بينهم .

ثانياً : أن موسى سلّم التوراة إلى عشيرته أولاد ليوي وذلك باستشهاده بالآية : ويكتب مשה את התורה הזאת ויתנה אל הכהנים בני לוי.(دברים، لا 9) " وكتب موسى هذه التوراة وسلّمها للكهنة بني لاوي " (التثنية، الإصحاح ٣١، آية ٩)
ثالثاً : أن موسى علّم بني إسرائيل نصف سورة فقط يُقال لها " هاأزينو " وذلك باستشهاده بما ورد من نص في التوراة : "ويكتب مשה את השירה הזאת ביום ההוא וילמדה את בני ישראל".(دברים، لا 22) " فكتب موسى هذا النشيد في ذلك اليوم وعلّم بني إسرائيل إياه " (التثنية، الإصحاح ٣١، آية ٢٢)

رابعاً : أن الأئمة الهارونيين الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلهم بخت نصر(نبوخذنصر) يوم فتح بيت

المقدس .

خامساً: أن أحداً من الهارونيين لم يحفظ جميع فصول التوراة وإنما كان الواحد منهم يحفظ فصلاً واحداً.

سادساً: ما أصاب اليهود على يد الشعوب التي حاربتهم وقهرتهم مثل الكلدانيين والبابليين والفرس واليونان والنصارى والمسلمين ، من حرق بلادهم وأخرابها وإحراق كتبهم المقدسة .

سابعاً: أن ما أصابهم من ملوكهم العصاة مثل أحاب وأحزيا وأمصيا ويهورام ويربعام بن نباط وغيرهم من قتلهم للأنبياء وعبادتهم للأصنام وابتناء البيع والهيكل لعبادتها من قبل كل الشعب أشدّ مما أصابهم من أعدائهم .

ثامناً: منع الفرس لليهود عن الختانة وعن الصلاة مما دفع باليهود إلى اختراع أدعية مزجوا بها فصولاً من صلاتهم وسموها " الحزانة " وصاغوا لها ألحاناً عديدة . وقد صارت هذه الحزانة عند اليهود من السنن المستحبة في الأعياد والمواسم والأفراح يجعلونها عوضاً عن الصلاة ويستغنون بها عنها .

وبهذه الحجج القوية أراد السموع أن يصل إلى النتيجة الحتمية التي فرضها من البداية وهي أن النص التوراتي الذي بين أيدي اليهود ليس النص الأصلي الذي أنزله الرب ، وإنما حدث فيه تحريف كبير نتيجة لكل الأمور التي عرضها السموع ، وذكرتها أعلاه . صحيح أن السموع كان غير أمين في ذكره للآية التي

أوردها من التوراة وذكر قسماً منها وهو : ויכתב משה את התורה הזאת ויתנה אל הכהנים בני לוי. (دברים، لا 9) " وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي " (التثنية، الإصحاح ٣١، آية ٩). وحذف عن قصد تنمة الآية وهي : ואל כל זקני ישראל. " ولجميع شيوخ إسرائيل " (التثنية، الإصحاح ٣١، آية ٩) حتى يُثبت صحّة ما ادّعاه من عدم معرفة بني إسرائيل للنص التوراتي وانحصاره متفرقاً إلى فصول بين أبناء ليوي فقط .

كذلك في تركيزه على نصف السورة التي عُرفت باسم "هاآزينو" وأنها فقط التي حفظت لبني إسرائيل نراه لا يختلف عن ابن حزم الذي تلقّف هذا النص وراح يركّز عليه اتهاماته لليهود ونفيه لحقيقة نص التوراة .

كما نرى الإتفاق بين السموءل وابن حزم في الإبراز لدور الملوك اليهود العصاة الذين ساهموا في كفر الشعب وضياع التوراة (٦٥) .

ومثل ابن حزم نرى السموءل ينسب التوراة الحالية إلى عزرا (٦٦) الذي كما يقول السموءل : رأى أن القوم أحرق هيكليهم وزالت دولتهم وتفرّق جمعهم ورفع كتابهم ، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن (٦٧) .

ويرى أن عمل عزرا هذا ما جعل اليهود يبالغون في تعظيم

عزرا والزعم أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند بطائح العراق لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم (٦٨).

ويقف السموءل موقفاً سلبياً من عزرا ويصفه برجل فارغ وجاهل بالصفات الإلهية، لأنه كما يقول: نسب إلى الله صفات التجسيم والندامة على ما مضى من أفعاله والإقلاع عن مثلها (٦٩).

ويذكر السموءل في مكان آخر عزرا بقوله " وكان هذا عزرا خادماً لملك الفرس حظياً لديه، فتوصل إلى بناء بيت المقدس، وعمل لهم " لليهود " هذه التوراة التي بأيديهم " (٧٠).
ويفسر سبب بعض التحريف الذي في التوراة بقوله:
" فلما كان عزرا " هارونياً كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودي، فأضاف في التوراة فصلين طاعنين في نسب داود. أحدهما قصة بنات لوط، والآخر قصة تamar " (٧١).

ويهتم السموءل بتأكيد أن عزرا هذا الذي ينسب إليه كتابة التوراة التي بين يدي اليهود ليس هو العزيز، كما يظن، ويفسر قوله، بأن كلمة العزيز تعريب كلمة العازار فأما عزرا فإنه إذا عرب لم يتغير عن حاله، لأنه اسم خفيف الحركات والحروف، ولأن عزرا عندهم ليس بنبي وإنما يسمونه عزرا هسوفير وتفسيره " الناسخ " (٧٢).

وكلام السموءل هذا ليس دقيقاً، إذ أن كلمة العزيز هي

حقاً تصغير كلمة العزار حيث أن التصغير يكون بحذف أَل التعريف والألف من الكلمة فتبقى عزار اسم رباعي فيصغر على صورة عُزير وبإضافة أَل التعريف والألف يصبح الإسم ألعازار .

لكن كلام السموءل بالنسبة لإسم عزير غير دقيق إذ أن عُزير تصغير كلمة عزرا أيضاً، إذ أن كلمة عزرا من عزر بدون الألف مثل كلمة سلمى فتصغر على شكل سليمى وهذا صحيح أيضاً بالنسبة لعزرا فتصغيرها عزير ويكون عزرا وعزير واحداً .

وبالنسبة لعزير ففي دائرة المعارف الإسلامية يذكر أن الله غضب على اليهود بعد عهد النبي موسى ، لما اقترفوا من ذنوب ، فأذهب عنهم نص التوراة ، وفقط ظل عُزير وحده بين اليهود يعبد الرب . وإذ رأى عزير ما حل بشعبه ، توسل إلى الرب واستعطفه ، وطلب من الحكماء أن يفعلوا فعله ، فسمع الرب توسلاته وجعله يتذكر نص التوراة ، ولهذا قال عنه اليهود " أن عزير ابن الله لأن الله لا يفعل هذا العمل إلا مع ابنه " . وفي نهاية القصة ، يذكر أن اليهود بعد مائة سنة من عودتهم وتوبتهم وعبادتهم الرب ، أحيا الرب عزير ثانية وكتب لهم التوراة (٧٣) .

وقد ورد اسم عزير في القرآن الكريم في آية واحدة نصها " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون " (٧٤) .